البراهين الشرعية

على

بطلان دعوى الإبراهيمية

البراهين الشرعية
على
بطلان دعوى الإبراهيمية

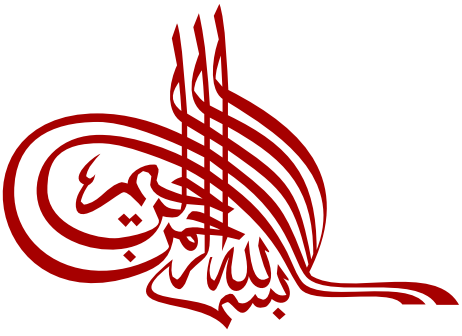
بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم دعوى الإبراهيمية

تقوم دعوىٰ الإبراهيمية في أجلىٰ صورها علىٰ محو الخصوصية المميزة لكل دين من الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام، والوصول إلىٰ صيغة تجمع بين تلك الأديان الثلاثة.

ولهذه الدعوىٰ صيغة أخرىٰ، حاصلها: الإبقاء علىٰ خصائص تلك الأديان، وتصحيحها، وأنها طرق صحيحة مؤدية إلىٰ عبادة الله تعالىٰ.

ولها صيغة أخرىٰ، حاصلها: الإبقاء علىٰ خصائص الأديان، مع عدم الإنكار علىٰ كل دين، وترك الإنكار لها والحكم عليها بالبطلان.

فدعوىٰ الإبراهيمية لها ثلاث أشكال أساسية:

الشكل الأول: الدمج، ومعناه: دمع الأديان الثلاثة -الإسلام واليهودية والنصرانية- في دين واحد.

الشكل الثاني: التصحيح، ومعناه: إبقاء كل الأديان الثلاثة علىٰ خصائصها مع الحكم عليها جميعا بالصحة.

الشكل الثالث: عدم الإنكار، ومعناه: إبقاء كل الأديان الثلاثة علىٰ خصائصها مع عدم الإنكار علىٰ انحرافاتها وترك الحكم عليها بالبطلان.

والشكل الأول من الإبراهيمية لا يكاد يقول به إلا الغلاة من دعاتها، وأما الشكل الثاني والثالث فهي من أكثر ما يروج لها في العالم الإسلامي، والشكل الثالث أكثر خبثا وتدليسا.

وتسمىٰ هذه الدعوىٰ بعدد من الأسماء: الدين الإبراهيمي، والبيت الإبراهيمي، والشعوب الإبراهيمية، والأخوة الإبراهيمية، والاتحاد الإبراهيمي، والعائلة الإبراهيمية، والأديان العالمية، والتعددية الدينية، والصداقة بين الأديان، ووحدة الأديان، والإخاء الديني.

الأدلة الشرعية علىٰ بطلان دعوىٰ الإبراهيمية:

هذه الدعوىٰ بأشكالها الثلاثة باطلة في ميزان الإسلام، لا يمكن أن تكون صحيحة، وقد تضمنت النصوص الشرعية أدلة وبراهين كثيرة تدل علىٰ بطلانه، منها:

الدليل الأول: الحكم علىٰ اليهود والنصارىٰ بالكفر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ

ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وهذا الأمر ظاهر في دين الله تعالىٰ، وقد أجمع العلماء علىٰ ذلك، يقول ابن حزم: «اتفقوا علىٰ تسمية اليهود والنصارىٰ كفارا، واختلفوا في تسميتهم مشركين»[(١)].

وإذا ثبت أن اليهود والنصارىٰ كفار، فهذا يعني أنهم محكوم عليه بالخلود في النار يوم القيامة، ويعني أنه يجب علىٰ المسلم أن يحقق البراءة منهم لأجل دينهم، فكيف يصح مع هذا أن يصحح دينهم أو يحكم عليه بأنه مواقف لما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟! وكيف يطلب من المسلم أن يعتقد أنهم كفار، ثم بعد ذلك يعتقد صحة دينهم أو يترك الإنكار عليه والحكم عليه بالبطلان؟!

الدليل الثاني: إجماع علماء الإسلام علىٰ تكفير من لم يكفر اليهود والنصارىٰ، يقول النووي في سياق الإجماع علىٰ بعض المكفرات: «وأن من لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارىٰ، أو شك في تكفيرهم، أو صحح مذهبهم، فهو كافر»[(٢)]، ويقول ابن تيمية: «لا خلاف بين المسلمين أن من لم يؤمن بمحمد ﷺ بعد بلوغ رسالته إليه أنه كافر مخلد في النار، ومن ارتاب في ذلك فهو كافر يجب قتله»[(٣)].

---

(١) مراتب الإجماع (١١٩).

(٢) روضة الطالبين (١٠/ ٧٠).

(٣) مختصر الفتاوىٰ المصرية (٢٠١).

فكيف يصح مع هذا الإجماع أن يحكم علىٰ دين اليهودية والنصرانية بأنه دين صحيح، أو أنه من الطرق الدينية التي لا يصح الإنكار عليها، ولا محاربتها، وأنه لا يصح البراءة منها؟!

الدليل الثالث: الحكم علىٰ اليهود بالغضب، وعلىٰ النصارىٰ بالضلال، كما في قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ والمغضوب عليهم هم اليهود، وهو قول ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة، ومجاهد والربيع وابن زيد[(١)]، والله تعالىٰ حكم علىٰ اليهود بالغضب في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾.

والضالون هم النصارىٰ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس، وجماعة من الصحابة، ومجاهد والربيع وابن زيد[(٢)]، والله حكم علىٰ النصارىٰ بالضلال في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ﴾.

وقد جاء في تفسير المغضوب عليهم، والضالين أحاديث مرفوعة، منها: قوله ﷺ: «إن المغضوب عليهم: اليهود، وإن الضالين: النصارىٰ»[(٣)]، ومنها أن رجلا سأل النبي ﷺ قال يا رسول الله من المغضوب عليهم، قال: اليهود، قال فمن الضالين، قال النصارىٰ»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٨٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٩٣).

(٣) رواه أحمد (١٩٣٨١)، والترمذي (٣١٨٦)، وقال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب عن عدي بن حاتم»

(٤) رواه أحمد (٢٠٣٥١)، والطبري (١/ ١٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٢٣): «رجال الجميع رجال الصحيح»، وصححه ابن تيمية (مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٠٧)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٦٢٦٣).

وقد حكىٰ ابن أبي حاتم الإجماع علىٰ ذلك، فإنه قال بعد أن ذكر أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارىٰ: «لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافا»[1].

فهل يصح مع هذا أن يكون اليهود والنصارىٰ موافقين لما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟! وهل يصح أن تكون اليهودية والنصرانية طرقا صحيحة في التعبد لله تعالىٰ؟!

الدليل الرابع: إثبات المفاصلة الصريحة بين إبراهيم عليه السلام وبين اليهودية والنصرانية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

فكيف يصح مع هذه المفاصلة الصريحة الادعاء بأن اليهودية والنصرانية تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

الدليل الخامس: إنكار الله تعالىٰ علىٰ اليهود والنصارىٰ محاجتهم في إبراهيم، ودعواهم أنه كان علىٰ ملتهم، والحكم علىٰ محاجتهم بالجهل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

فهذا إنكار صريح قاطع لدعوىٰ الإبراهيمية، فكيف يصح مع هذا الإنكار الزعم بأن اليهودية والنصرانية تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣١).

الدليل السادس: تأكيد العداوة من اليهود والنصارىٰ للمسلمين، وتأكيد استمرارها وعدم توقفها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

فهذا حكم صريح من الله تعالىٰ بأن اليهود لن يرضوا عن المسلمين أبدا، وأن النصارىٰ لن يرضوا عن المسلمين أبدا، فكيف يصح لمسلم أن يدعي بعد هذا كله بأن هذه الأديان الثلاثة تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟! أو أن يعتقد صحتها؟! أو أن يدع الإنكار عليها والحكم عليها بالبطلان؟! أو أن يتناسىٰ كل هذه العداوة ويتآخىٰ معهم؟!

الدليل السابع: تأكيد حسد اليهود والنصارىٰ للمسلمين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

فهذه الآية تؤكد علىٰ أن اليهود والنصارىٰ لا ينفكون عن حسد المسلمين، فكيف يجعل الحاسد والمحسود في أصول الدين ممثلون لما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

الدليل الثامن: الحكم علىٰ اليهود والنصارىٰ بالغلو في دينهم، وهذا الحكم يتضمن الحكم بالانحراف والضلال، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ

قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

فهذه الآيات تثبت أن اليهود والنصارىٰ وقعوا في الغلو المذموم، والغلو يعد انحرافا عن الصراط المستقيم، فكيف تجعل هذه الأديان الغالية المنحرفة عن الصراط المستقيم ممثلة لما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

الدليل التاسع: أن الله تعالىٰ ذكر أن الاتفاق بين المسلمين واليهود والنصارىٰ إنما يكون بترك الشرك والبراءة منه، وأما بغير ذلك فإنه لا يمكن أن يقع اتفاق ولا تقارب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

فهذه الآيات إعلان من الله تعالىٰ بأنه لا يمكن أن يتحقق الاتفاق بين اليهودية والنصرانية وبين الإسلام إلا بعد تغيير جذري في عقائدهم، فإن لم يقع ذلك التغيير فإنه لا التقاء ولا مقاربة بينهم وبين الإسلام، فكيف مع ذلك يحكم عليهم بأنهم موافقون لما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

الدليل العاشر: الحكم علىٰ اليهود والنصارىٰ بالنار ما لم يدخلوا في الإسلام، فإن دخلوا في الإسلام فإنه يزول عنهم هذا الاستحقاق،

كما في قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، أو نصراني، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[1].

وهذا الحكم ظاهر الدلالة في أن اليهودية والنصرانية ديانتان منحرفتان عن ملة إبراهيم؛ إذ ليس من المقبول عقلا أن تكونا ممثلتان لما كان عليه إبراهيم عليه السلام ثم يحكم علىٰ أتباعهما بالنار.

الدليل الحادي عشر: الأمر بمقاتلة اليهود والنصارىٰ حتىٰ يعطوا الجزية، فإن لم يعطوا الجزية فإن الأمر بمقاتلهم ما زال قائما، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾.

فهذا الحكم يدل علىٰ أن الإسلام لا يحكم فيه بأن اليهودية والنصرانية ممثلة لما كان عليه إبراهيم عليه السلام، ولو كان يحكم فيه بذلك لما أمر بقتال أهل الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية.

الدليل الثاني عشر: الإنكار علىٰ اليهود والنصارىٰ في عدم دخولهم في الإسلام، وجعل ذلك من التلبيس والتحريف، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

ولو كانت اليهودية والنصرانية ممثلة لما كان عليه إبراهيم عليه السلام لما اتخذ الإسلام منها هذا الموقف.

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).

الدليل الثالث عشر: إثبات العداء بين اليهود والنصارىٰ وبين المسلمين، والأمر بالبراءة منهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وهذا يناقض تمام المناقضة دعوىٰ الإبراهيمية في الإخاء بين الإسلام واليهودية والنصرانية، ودعوىٰ أن كل هذه الأديان تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، فكيف تكون ممثلة لذلك، والإسلام يوجب البراءة من اليهود والنصارىٰ؟!

الدليل الرابع عشر: إثبات أن كلا من اليهود والنصارىٰ يحكم بعضهم علىٰ بعض بالضلال والانحراف، فكيف يكون حالهم ممثلا لما عليه إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

فالإسلام يثبت أن كلا من اليهود والنصارىٰ يحكم بعضهم علىٰ بعض بالضلال والانحراف، وهو يحكم عليهم بالضلال والانحراف، وهذا الحال يناقض تمام المناقضة دعوىٰ الإبراهيمية بأن تلك الأديان تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، فكيف يصح ذلك، وكل دين منها يتبرأ من الدين الآخر، ويحكم عليه بالضلال والانحراف؟!

الدليل الخامس عشر: الحكم علىٰ اليهود بأنهم يسعون في الأرض فسادا، فكيف يصح التقارب معهم؟! أو تصح دعوىٰ أنهم

يمثلون ملة إبراهيم عليه السلام، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

الدليل السادس عشر: أمر الله تعالىٰ للمسلمين بأن يعلنوا المفاصلة بينهم وبين اليهود والنصارىٰ عند ظهور دعوىٰ أنهم يمثلون دين إبراهيم، وذلك في موضعين من القرآن، يقول الله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وهذا يدل علىٰ أنه لا يمكن لليهود والنصارىٰ أن يمثلوا دين إبراهيم عليه السلام، وأنه يجب علىٰ المسلم في كل لحظة وحين أن يعلن براءته منهم، ويعلن انتسابه إلىٰ أولئك الأنبياء، الذي لا يتفقون مع حال اليهود والنصارىٰ البتة.

الدليل السابع عشر: إخبار الله تعالىٰ بأن كثيرا من أهل الكتاب يسعون في إفساد دين المسلمين وتحريفه، ويحرصون علىٰ إخراج المسلمين منه، وأنهم يستعملون النفاق للبلوغ إلىٰ ذلك، كما في قوله

تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وجاء عن جماعة من السلف، كابن عباس وقتادة والربيع والسدي وغيرهم أن هذا الأمر كان قبل النسخ، وأن الأمر بالعفو والصفح قد نسخ بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

وعن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره، قال: «كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون علىٰ الأذىٰ، قال الله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكان رسول الله ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله به، حتىٰ أذن الله فيهم بقتل، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش»[1].

الدليل الثامن عشر: الحكم علىٰ كل من اتخذ غير الإسلام دينا بالضلال والانحراف والخسران، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، والمعنىٰ: من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٣٣٣)، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٨٣): «هذا إسناده صحيح».

يطلب دينا غير دين الإسلام ينقاد لله تعالىٰ من خلال أحكامه وشعائره، فلن يقبل الله تعالىٰ منه، ومن يفعل ذلك فهو في الآخرة من الخاسرين الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﷻ.

والمراد بالإسلام هنا الدليل الذي جاء به النبي ﷺ بخصوصه، فالمراد به الإسلام الخاص، وليس الإسلام العام، ويدل علىٰ ذلك ما جاء عن أئمة السلف في سبب نزول هذه الآية، فذكر أن أهل كل ملة ادعوا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية، فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين؛ لأن من سنة الإسلام الحج، فامتنعوا، فأدحض الله بذلك حجتهم، عن عكرمة، قال: «لما نزلت: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ إلىٰ آخر الآية قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: قل لهم: إن ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ﴾ من أهل الملل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»[1].

فهذا الدليل شديد المناقضة لدعوىٰ الإبراهيمية، فإنه نص صريح في أن الله تعالىٰ لا يقبل إلا دين الإسلام ممن أراد أن يكون عابدا له، ودعوىٰ الإبراهيمية تدعي أن الله تعالىٰ يمكن أن يقبل اليهودية والنصرانية، أو يمكن أن يقبل بنموذج مستخلص من الأديان الثلاثة، وهذه الدعاوىٰ مناقضة تمام المناقضة لصريح هذه الآية.

الدليل التاسع عشر: الإخبار بأن اليهود يعتقدون أن الجنة لهم دون من عداهم، وأن النصارىٰ يعتقدون أن الجنة لهم دون من

(١) رواه الطبري (٥/٥٥٦).

عداهم، والإنكار عليهم وبيان بطلان اعتقادهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾، فكيف يمكن التقارب معهم أو تصحيح دينهم أو دعوىٰ أنهم يمثلون دين إبراهيم؟!

الدليل العشرون: الإخبار عن اليهود بأنهم يتمنون العنت والمشقة للمسلمين وأنهم يبغضون المسلمين أشد البغض، كما في قوله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم، ويصافونهم المودة بالأسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام، فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم، فعن ابن عباس، قال: «كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله ﷻ فيهم، فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾»[1].

(١) رواه الطبري (٥/ ٧٠٩).

وروي أن أبا موسىٰ الأشعري استكتب ذميا، فكتب إليه عمر يعنفه، وتلا عليه هذه الآية، وقيل لعمر: إن ها هنا رجلا من نصارىٰ الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك؟ فقال: «إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين»[1].

والله تعالىٰ نهىٰ المؤمنين عن اتخاذ اليهود ومن في حكمهم من أهل الكتاب والكفار بطانة، وعلل الحكم في هذه الآية بأربع علل:

الأولىٰ: أن الكفار لا يقصرون جهدهم في إفساد دين المسلمين، **الثانية**: أنهم يحبون عنت المسلمين، ويتمنون وقوع المشقة والضرر بهم، **والثالثة**: أنمهم مهما أخفوا ما في نفوسهم فإنه يظهر علىٰ ألسنتهم ما يدل علىٰ بغضهم للمسلمين، **الرابعة**: أن ما في قلوبهم علىٰ المسلمين من البغض والكره شيء كبير جدا.

فهذه الآية دالة بوضوح شديد علىٰ بطلان دعوىٰ الإبراهيمية؛ لأنها أثبتت أن اليهود والنصارىٰ متصفون بصفات لا يمكن أن يكونوا فيها في حالة قرب من المسلمين وتآخي وتداخل.

الدليل الحادي والعشرون: الإخبار عن اليهود والنصارىٰ بأنهم يفرحون لمصاب المسلمين، ويحزنون إذا نزل بالمسلمين الخير، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٦٣٩٢).

فالله تعالىٰ في هذه الآية يخبر عن الحال الغالب علىٰ اليهود والنصارىٰ وغيرهم من الكفار بأنه لا يحبون الخير للمسلمين، وأنهم إذا أصاب المسلمين خيرا حزنوا علىٰ ذلك، فكيف يطلب من المسلم أن يندمج مع اليهود والنصار في دين واحد، أو أن يعتقد أن دينهم صحيح، أو أن يتآخىٰ معهم ويترك الإنكار عليهم وعلىٰ دينهم؟!

الدليل الثاني والعشرون: أن الإسلام أمر اليهود والنصارىٰ بالإيمان بالقرآن وبأحكام الإسلام، وذم من لم يؤمن منهم بذلك أشد الذم، ولعنهم علىٰ عدم إيمانهم به، وتوعدهم بالعذاب المهين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

فكيف يستطيع المسلم مع هذه الآيات أن يعتقد أن دين اليهود والنصارىٰ دينا صحيحا ممثلا لما كان عليه إبراهيم، أو دينا يصح أن يتعبد به لله تعالىٰ؟!، وكيف يصح أن يترك اعتقاد بطلانه والإنكار عليه والحكم عليه بالبطلان؟!!

الدليل الثالث والعشرون: الأمر بإخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، كما في قوله ﷺ: «لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، حتىٰ لا أدع إلا مسلما»[1]، وفي لفظ آخر: «لئن عشت

(١) رواه مسلم (١٧٦٧)، وأحمد (٢٠١)، وأبو داود (٣٠٣٠)، والترمذي (١٦٠٧)

لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، حتىٰ لا أترك فيها إلا مسلما»[(١)]، وعن عمر بن الخطاب قال: «لئن عشت إن شاء الله، لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب»[(٢)].

وهذا يدل علىٰ أن اليهودية والنصرانية دينان ضالان في حكم الإسلام، ولأجل هذا لا يباح بقاؤهما في جزيرة العرب، فكيف يصح مع هذا أن يقال إنهما يمثلان ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

الدليل الرابع والعشرون: التصريح بلعن اليهود والنصارىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾، وقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٣)].

فاليهودية والنصرانية دينان يوجبان اللعن في حكم الإسلام، فهل يصح مع هذا أن يقال: إن الإسلام يقر أنهما تمثلان ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

الدليل الخامس والعشرون: النهي عن التشبه باليهود والنصارىٰ، كما في قوله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب، لتبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: فمن؟»[(٤)]، وقوله ﷺ: «إن اليهود والنصارىٰ

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٧).

(٢) رواه احمد (٢١٥)، وأبو داود (٣٠٣١).

(٣) رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٤) رواه البخاري (٣٤٥٦) و(٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

لا يصبغون، فخالفوهم»[1].

والنهي عن التشبه بشيء يدل علىٰ أنه انحراف وخطأ وضلال، فهل يمكن أن تكون اليهودية والنصرانية ممثلة لما كان عليه إبراهيم عليه السلام، ثم ينهىٰ الإسلام عن التشبه بأتباعها؟!

الدليل السادس والعشرون: الحكم علىٰ اليهود والنصارىٰ بتحريف كلام الله وإخفاء الحق والتلبيس علىٰ الناس، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وغيرها من الآيات.

فالقرآن يحكم علىٰ اليهود والنصارىٰ بأنهم أهل تحريف وتدليس وكذب وإعراض عن كتاب الله ووحيه، فهل يمكن مع هذه الأوصاف أن يحكم عليهم بأنهم يمثلون ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣).

الدليل السابع والعشرون: الإخبار عن اليهود والنصارىٰ بأنهم فرقوا بين رسل الله تعالىٰ، فآمنوا ببعضهم وكفروا ببعض، فكثيرا ما يكرر القرآن بأن المسلمين لا يفرقون بين أحد من رسل الله، وأنهم يؤمنون بهم جميعا، تعريضا باليهود والنصارىٰ في انحرافهم ذلك، كما يقول تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، وقوله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

فهذه الآيات تدل علىٰ أنه لا التقاء بين الإسلام وبين اليهودية والنصرانية؛ لأن هذه الأديان تختلف في أمر عظيم في دين الله تعالىٰ، وهو الإيمان بالرسل.

الدليل الثامن والعشرون: أن الله تعالىٰ أخبر أنه سيظهر دين الإسلام علىٰ كل الأديان، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

وهذا الإخبار يناقض القول بأن اليهودية والنصرانية تمثل مع الإسلام ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، فلو كانت هذه الأديان كلها تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام لما كان للإسلام ظهورا عليها.

الدليل التاسع والعشرون: أن الله تعالىٰ حكم علىٰ من آمن ببعض الأنبياء دون بعض بالكفر والضلال، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

وهذا الحكم مقطوع به في الإسلام، وأجمع عليه علماء المسلمين، يقول ابن تيمية: «المسلمون متفقون علىٰ كفر من أقر بنبوة بعضهم دون بعض»[(١)].

فهذا الدليل يدل علىٰ أن كفر اليهود والنصارىٰ كفر مركب، لأن اليهود كفروا بأنبياء متعددين، وكذلك النصارىٰ، فكيف يصح أن يطلب من المسلم أن يعتقد أن دين اليهود والنصارىٰ دين صحيح يمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؟!، وكيف يمكن للمسلم أن يتآخىٰ مع من يكفر بنبوة النبي ﷺ، وبغيره من الأنبياء؟!

الدليل الثلاثون: إجماع العلماء علىٰ تحريم بناء الكنائس في بلاد المسلمين، وفي نقل الإجماع يقول ابن تيمية: «اتفق المسلمون علىٰ أنَّ ما بناه المسلمون من المدائن، لم يكُن لأهل الذمة أن يُحدِثوا فيها كنيسة»[(٢)]، ويقول السبكي: «فإنَّ بناء الكنيسة حرامٌ بالإجماع، وكذا ترميمها»[(٣)]، ويقول ابن القيم: «ولا يُمكَّنون من إحداث البِيَع

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٤٣٣).
(٢) مجوع الفتاوىٰ (٢٨/ ٦٣٥).
(٣) فتاوىٰ السبكي (٢/ ٣٩١).

والكنائس، كما شرَط عليهم عمرُ بن الخطاب ﷺ في الشروط المشهورة عنه . . . وهذا مذهب الأئمَّة الأربعة في الأمصار، ومذهب جمهورهم في القُرىٰ، وما زال من يُوفِّقه الله من وُلاة أمور المسلمين يُنفِذ ذلك ويَعمل به، مِثل عمر بن عبد العزيز، الذي اتَّفق المسلمون علىٰ أنه إمام هدىٰ»[(١)].

وهذا الدليل يناقض تمام المناقضة دعوىٰ الإبراهيمية، فإنه لو كانت اليهودية والنصرانية تمثل ما كان عليه إبراهيم عليه السلام لما منع الإسلام من بناء كنائسهم وبيعهم، فهذا المنع يدل دلالة قاطعة علىٰ أنها أديان منحرفة لا تمثل ملة إبراهيم عليه السلام، ولو كانت اليهودية والنصرانية أديانا صحيحة، أو يجوز للمسلم ترك الإنكار عليهم وإظهار المخالفة لهم لما حرم السماح لهم ببناء كنائسهم وبيعهم.

الدليل الواحد والثلاثون: إجماع علماء المسلمين علىٰ بطلان التعبد لله تعالىٰ بأي دين غير دين الإسلام، وفي حكاية الإجماع يقول ابن تيمية: «من لم يحرم التدين بعد مبعثه ﷺ بدين اليهود والنصارىٰ بل من لم يكفرهم ويبغضهم، فليس بمسلم باتفاق المسلمين»[(٢)].

الدليل الثاني والثلاثون: إجماع علماء المسلمين علىٰ كفر كل من لم يؤمن بالنبي ﷺ، وفي نقل الإجماع يقول ابن حزم: «اتفقوا . . . أن دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخ

---

(١) أحكام أهل الذمة (٣/ ١١٩٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٤٦٤).

لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبدا، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد في النار أبدا»[1]، ويقول ابن تيمية: «قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة»[2].

فكل من زعم أن دين اليهودية والنصرانية ممثل لما عليه إبراهيم عليه السلام، أو زعم أنه يصح التعبد بها لله تعالىٰ فهو مخالف للإجماع القطعي من علماء المسلمين، وهذا الإجماع يوجب في عقل المسلم ووعيه الإنكار علىٰ دين اليهودية والنصرانية ويوجب عليه اعتقاد بطلانها منافرتها والبعد عنها.

فهذه الأدلة الظاهرة القاطعة تدل علىٰ بطلان دعوىٰ الإبراهيمية بكل تشكلاتها وصورتها، وتثبت أنها دعوىٰ مناقضة لأحكام الإسلام وأصوله البينة.

فإن قيل: هذا البحث قائم علىٰ انتقاء النصوص الدالة علىٰ معاداة اليهود والنصارىٰ والبراءة منهم، وأعرض عن النصوص الشرعية الأخرىٰ التي فيها التقارب، وإباحة التعايش معهم.

قيل: هذه دعوىٰ باطلة، فإن حقيقة دعوىٰ الإبراهيمية ليست في التعايش مع الكفار وإعطائهم حقوقهم التي قررها الوحي لهم، وليست في الامتناع عن الاعتداء عليهم، وليست في التعامل مع غير المعادين منهم للمسلمين بالرفق واللين، أو الإحسان إليهم.

---

(١) مراتب الإجماع (١٧٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٢٩٦).

فالبحث ليس في هذا كله، وإنما جوهر البحث-وهو حقيقة دعوىٰ الإبراهيمية- في دمج الأديان الثلاثة والزعم بأنها تمثل مع كان عليه إبراهيم عليه السلام، أو في تصحيح تلك الأديان، أو في دعوىٰ التعايش بين عقائد تلك الأديان، وعدم الإنكار علىٰ ما في اليهودية والنصرانية من الشرك بالله تعالىٰ والكفر به سبحانه.

فدعوىٰ الإبراهيمية متعلقة من حيث الأصل بالجانب العقائدي التشريعي، وليس بالجانب التعاملي السلوكي، فأصحاب تلك الدعوىٰ يقصدون إلىٰ تحقيق التقارب في جانب العقيدة، وليس إلىٰ التقارب في جانب تعامل الناس بعضهم مع بعض.

وإن ذكروا التقارب في جانب السلوك والتعامل الحياتي فإنه يذكرونه نتيجة لدعوىٰ الإبراهيمية وأثرها لها، وليس علىٰ أنه هو جوهرها ولبها، وبعضهم يقتصر علىٰ الجانب السلوكي تمويها وتدليسا.